

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

عن العدد ١٥ ملياً

الاعهونات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الوزارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٥٩٠ « القاهرة في يوم الإثنين ٦ ذو القعدة سنة ١٣٦٣ - الموافق ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

التفكير المذهبي

للدكتور محمد مندور

الفهـرس

هناك نوعان من التفكير المذهبي : تفكير تفسيري ، وآخر إنشائي . فالأول الذي يحاول تفسير التاريخ وتطوره وفقاً لفكرة موحدة جامعة ، يفكر تفكيراً مذهبياً ، فيقول مثلاً : إن تغير وسائل الإنتاج وحلول الآلة محل الأيدي قد غير من توزيع الطبقات الاجتماعية ونقل عقلية الشعوب ، وهذا هو التفكير التفسيري . والسياسي الذي يقول بوجود فصل السلطات الثلاث تنفيذية وتشريعية وقضائية وتحديد علاقاتها بحيث لا تبني سلطة على أخرى ، ويرى في ذلك ضماناً لصلاح الحكم ، يفكر تفكيراً إنشائياً ويدعو إلى المذهب الذي يؤمن به . ولقد كنت دائماً شديد الحذر من التفكير المذهبي في مجال التفسير لما لاحظته من أن المذهب عندئذ لا يمكن أن يفلت من الضيق والتحكم . فالأورخ في مثلنا السابق لا بد متعسف في عرضه ، والناظر الحر التفكير لا يمكن أن يفكر أن تغير وسائل الإنتاج لم يكن بحال العامل الوحيد في تطور الإنسانية ؛ فثمة النشاط العقلي وتوليد الأفكار وإرادة البشر وتزوعهم إلى المثل وظهور كبار القادة ، وما إلى ذلك مما يعمل في التاريخ قدر ما تعمل وسائل الإنتاج إن لم يفقها .

صفحة

- ٩٤١ التفكير المذهبي ... : الدكتور محمد مندور ...
- ٩٤٤ فوضى الأدب في مصر ... : الدكتور محمد صبرى ...
- ٩٤٥ ثقافة ألى تمام وأثرها في تعقيد ... : الأستاذ درينى خيبة ...
- ٩٤٨ في العيد ... : الأستاذ على متولى صلاح ...
- ٩٥٠ قضية المرأة ... : الأستاذ زكريا إبراهيم ...
- ٩٥٢ القضايا الكبرى في الاسلام : { الأستاذ عبد النعال الصيدى
- قضايا ابن تيمية ... : ...
- ٩٥٤ امتحان الأستاذية الأزهرية : { الأستاذ زكى الدين إبراهيم
- بعد أربعة أعوام ... : بدوى ...
- ٩٥٧ طاقة زهر ... [قصيدة] : الأستاذ على محمود طه ...
- ٩٥٧ (١) العام الجديد [قصيدة] : { الأستاذ على متولى صلاح ...
- (٢) صديق الطيور ... : ...
- ٩٥٨ إليك أعترف يا صديقي ... : الدكتور زكى مبارك ...
- ٩٥٨ إلى الأستاذ بقولا الحداد ... : الأستاذ درينى خيبة ...
- ٩٥٩ بين تيمور وذهى ... : الأستاذ سيد قطب ...
- ٩٦٠ دعبل شاعر الهباء ... : الأستاذ مصطفى بيرو ...
- ٩٦٠ الحوار زمى أيضاً ... : الأديب أحمد الشرباصى ...

وأنا على العكس من ذلك شديد الحماسة للتفكير المذهبي في مجال الإنشاء والدعوة ، ولقد زادتني إيمانا بهذا النوع من التفكير ما ألاحظ اليوم من تشتت الأخلاق السياسية والاجتماعية بمصر ، وأخشى أن يكون بالشرق كله تشتتا يملأ النفس حزنا ، حتى ليصبح بالقلب أمل أننا قد نستطيع علاج هذا المرض النفسي المدمر إذا حاولنا جمع النفوس حول الأفكار المذهبية

وأنا بعد لا أجهل ما في المذاهب الإنشائية بالنسبة لبلادنا من مشقات وأخطار ، فنحن بعد لا زلنا بظاهر الحضارة نقرع أبوابها ، وجانب كبير من حياتنا لا يزال محاكاة لحياة الغرب . وما يستطيع عاقل أن يقول إننا قد وصلنا من النضوج إلى حد الأصالة . وموضع الخطر هو أن نحسب مذاهب الغرب كما هي صالحة لبلادنا مضمونة النجاح فيها . ثم إن كل تفكير إنشائي لابد مصطدم بالكثير من حقائق الواقع عندما تستجيب له النفوس فتأخذ في تطبيقه . وهنا تظهر الصعوبات ، إذ ترى النفوس متعصبة لما تؤمن به ، وشهوة الفكر لا تقل عنفا عن شهوة الحس ، ويأتى الواقع فيستعصى ، وإذا بالتنافر في العمل وتبليد الحياة العامة .

هذه لا ريب صعوبات حقيقية ، ولكنني مع ذلك لا أتردد في الدعوة إلى التفكير المذهبي في حياتنا العامة ، ومن البين أن البلاد قد أخذت تنهيا له في كافة نواحي نشاطها السياسية والاجتماعية وثقافية . وكل ما نحتاج إليه لتخطو الخطوة الأخيرة هو التوجيه القوي من رجال ، وبالأصح شباب ناضج على خلق وكفاية . وأكبر ظني أننا عما قريب سنمل سخائم الأشخاص ونخبط الشهوات ونحمل الأخلاق ؛ فترتفع قلوبنا إلى مستوى التفكير المذهبي الذي ندعو إليه

وليس من شك في أن خير المذاهب الإنشائية ما نستمد من رغبات النفوس ، فالسياسي الحكيم هو من يتحسس اتجاه مواطنيه ، والشعب بقرينة الحياة يلتمس دائما مخرجا من عنده ؛ فاعلمنا إلا أن نبصره بذلك المخرج جامع بين آماله حول فكرة موحدة نستمد منها مبادئ العمل . ولا بد لنا من أن نروضه على ما ندعو إليه حتى يستقر بوعيه أن الخير لا بد آت مما ارتضاه من نظام ، ولنضرب لذلك مثلا بنظام الحكم في بلادنا : ملك

دستوري نرى فيه رمز الوطن وعزته . نرضه جميعا موضع التقديس ، حربصين على أن تظل ذاته بعيدة كره عما تقتتل حوله من مبادئ الحكم ووسائله ؛ وحياة نيابية وصحة نسبا وفقا لخير الدساتير . وتلك فكرة لا شك أن الأمة عمة عليها اليوم . ولكنك لو أنعمت النظر لوجدت أن هذا مرجع لم يتغلغل بعد في إيمان الشعب ولا استقرت فوائده بنفوسه . ولا أدل على ذلك من انعدام ثقة الأمة بالانتخابات ونسجها . ولعل في موقف أغلبية الناحيين - وبخاصة المثقفين منهم - من تلك الانتخابات أكبر دليل على صحة ما نقول . فإلقت أحناء من مسننيرى العقلاء إلا أخبرني أنه لم يشترك في الانتخابات طول حياته مرة واحدة ، بل ولا يعلم أهو مقيد بجداولها أم لا ، وتلك حالة تستحق النظر لأننا نخشى أن تدل على أن نسج قد سبقت إيمان الشعب وعقليته . ومن هنا أما يكون من واجب أن نأخذ الأفراد بالقرقر غمهم على استعمال هذا الحق بل النهوض بهذا الواجب ، فنجعل التصويت إجباريا كما جعله إسبانيا عند ما كانت حديثة العهد بالنظم النيابية ، وإلا فافلسنا طام لا يتمتع بثقة ولا يتعلق بإيمان ، ثم ما عمل القادة إن لم يروا الأفراد على ما فيه خيرهم ؟ وأنت لا بد ملاحظ نفس نه مرة في الحياة الاجتماعية ؛ ومشكلاتنا الكبرى اليوم هي توتر الطبقات الاجتماعية ، ولا يستطيع أحدنا أن ينكر أن بالأمة قاطبة نزوعا إلى عدالة أتم ومساواة أحكم مما نحن فيه الآن . ولكنك تنظر فترى التبليد في وسائل ما يحقق هذا النزوع ، وقد ألفت الشهوات حقائق الأشياء . فالخصومات السياسية والأصح الخصومات الشخصية قد أوشكت أن تعمى عن الأمة حقائق . ونحن في الواقع أمام ثلاث مشاكل لسكل منها حلها واضح : مشكلة الاستغلال السياسي ، ومشكلة أرباء الحرب ، ثم مشكلة الظلم الاجتماعي الزمنية المتأصلة ، وتلك الأخيرة هي التي يجب أن يجتمع حولها تفكيرنا المذهبي ، وأما الظاهرتان الأخريان فامرضتان ، ومن حق أمة تحترم نفسها أن تحسمهما بالعمل العادل لا بالتلطيف المزرى . فإذا كان هناك استغلال سياسي قد حدث فأمانا قضاء ومستشارون لا زالت الأمة تأمل فيهم الخير ومن حقها عليهم أن يقولوا في هذا الاستغلال وأبهم فأما براءة وإما إدانة ، وفي

العدالة الاجتماعية إلى مشكلتي الاستغلال والإثراء العارضتين ،
وبذلك نتحرف أيضاً بفقيرنا المنهبي عن هدفه الحقيقي
والأمر في حياتنا الثقافية مثله كمثل حياتنا السياسية
والاجتماعية سواء بسواء ، فن الناس وهم كثير من لا يزال زج
بالنعمات القومية والدينية في مجال الثقافة ليتدف علينا حياتنا
عن جهل ، فتسمع مقابلات عجبية بين روحية الشرق ومادية
الغرب ، كأن الغرب لا روح فيه والشرق لا مادة به . والمشكلة
الحقيقية ليست مشكلة ثقافة الشرق وثقافة الغرب ، وإنما هي
مشكلة الثقافة أو الجهل ، وهذه أيضاً فكرة مذهبية يجب أن
يستقر عندها ضمير الأمة حتى تستقيم لنا الحياة . هنالك ثقافة
إنسانية موحدة نشأت في الشرق ، ثم انتقلت إلى الغرب الذي
احتضنها دون أن يستنكف من صدورها عن غيره . ثم تأتي
اليوم نحن الحق فنجد جدلاً عقياً في رجوب استردادها منه
أو رفضها . ومن عجب أن ترانا جميعاً آخذين في هذا الاسترداد
بالفعل ، ومع ذلك نجادل في هل نحن على حق أو باطل ، إن
كننا على باطل فلنتدخل إذن عن جميع مظاهر الحياة المادية التي
تحوطنا من جميع النواحي ، فسكنا غربية ، بل لنتدخل عن
مدارسنا وجامعاتنا ومناهج بحثنا ، ونرجع إلى « الكتاب »
والحفظ عن ظهر قلب ، وانستمر في « المنقلة » ومناقشة الألفاظ
كما عهدنا الأزهر القديم . وفي هذا المجال أيضاً تعمل أمراض
النفوس وعقدها ومركباتها المختلفة أسوأ العمل ، فالجاهلون
بلغات الغرب يرون أنفسهم محرومين من وسائل التحصيل وإذا
بالعجز يرتدى في نفوسهم أزمى الأنواب ، فيناهضون ثقافة
الغرب زاعمين أنها مخالفة لروحنا مدبرة لأمانتنا ، وهم مع ذلك
لا يتعففون عن أن يأخذوا بما يصل إليهم من فتاها
لقد حان الحين لأن يستقيم تفكيرنا على أساس مذهبي يرتفع
بقلوبنا عن حزازات الأشخاص ومهارات الشوارع . لقد حان
الحين لأن يلقى النفر المثقف منا ثقافة حقيقية بنفسه إلى
المركة ، فيئس مواطن يستحوز على قلبه اليأس . فيئس مواطن
يفعل بأسه بعمال حقير . الوطن ملك لنا جميعاً كما كان ملكاً
لآبائنا وكما سيكون ملكاً لآبائنا ، ومصارفه اليوم مملقة في
الخارج وفي الداخل وأهول ما نخشاه أن ننصرف عن أهدافنا
الحقيقية إلى صفائر الأمور

محمد حيدر

كلنا الحائنين سنبراً كرامة هذه الأمة البائسة . ومن الواجب
أن نذكر الجميع بأن الاستغلال السياسي لا يمكن أن يكون
السبب الوحيد في إثراء البعض وافتقار الآخرين فتحن الآن
في حرب عالمية طاحنة قد غيرت من كافة وسائل الإنتاج
والتجارة ، وفي جميع أنحاء العالم وفي جميع أطوار التاريخ قد صحت
الجروب دائماً أكبر الاضطرابات الاجتماعية ، وآلاف من الصناعات
والتجارة بل والعمال قد أتروا دون أن تكون لهم بهذا العظيم
أو ذاك صلة قرابة أو نسب ، ونحن بعيدون عن أن ندعو إلى
الرفق بهؤلاء المثرين الذين امتصوا دماء الشعب ، ولكننا ندعو
إلى إجراءات عامة تتناول الجميع كما يفعلون بالبلاد المتحضرة
بدلاً من أن نقف عند شخص أو أشخاص بذاتهم متخذين منهم
هدفاً لصفائر أحقادنا . إن من حق هذه الأمة أن يحاسب
جميع أثرياء الحرب عن ثروتهم وأن يرد ما اكتسب منها بغير
وجبه مشروع إلى خزانة الدولة . ولا يرهبننا في شيء أن
ننادي بفرض ضريبة مستغرفة على رؤوس الأموال التي جمعت
أثناء هذه الحرب ، وأما ما سمعناه من فرض ضريبة على
الأرباح الاستثنائية فتلك في الحق مهزلة . الواجب هو أن
تزد رؤوس الأموال ذاتها لا أرباحها الخارقة ، ترد من الجميع ،
لا من هذا الوجبه أو ذاك لحسب ، وذلك أكرم على هذه الأمة
وأعدل في النظر للإنسان السليم مما نفرق فيه اليوم من مهارتات .
وهاتان المشكلتان بعد عارضتان كما قلنا ، وما ينبغي أن تصرفانا
عن المشكلة الكبرى ، مشكلة العدالة الاجتماعية بين الطبقات .
فهذه هي الفكرة المذهبية التي لا بد للأمة من التعلق بها ،
وسبيل علاجها أيضاً هو التشريع وإصلاح نظامنا المالي
والأخذ فيه بنظام التصاعد ، وبما يحزننا ألا تقتصر محنتنا
الحاضرة على إتلاف سياستنا القومية ، فتصرفنا عن الجهاد في
سبيل استقلال الوطن وتحريره تحريراً صحيحاً إلى محاربة بدمنا
بعضاً بكافة السبل ، حتى أصبحنا جميعاً كفقيران في مصيدة
حارسها لا يجهله أحد ، وكل من نارت نخوته سنة ١٩١٩ يعرف
اليوم في حزن أننا جميعاً على ضلال . نقول إن محنتنا الحاضرة
لا تقتصر على هذا التلف القوي المزن ، بل تمتد أيضاً إلى حياتنا
الاجتماعية فتصرفنا عن التفكير في مشكلتنا العميقة ، مشكلة